الفصل الثامن

تصور الإرهاب

إن القضاء على الإرهاب ضرورة ملحة وحاجة قائمة . يجب أن يشمل ذلك الإرهاب بجميع أشكاله ومهما كانت أهدافه وأيا كان فاعلوه ؛ لأن حماية المدنيين واجب على كل حكومة في جميع دول العالم . وممارسة الإرهاب لبلوغ أهداف سياسية ، من شأنه أن يقوّض أسس الحياة الاجتماعية لدى جميع شعوب الأرض .

وبالتالي ، توجد مصلحة عامة لجميع الدول وكل المجتمعات البشرية في العمل الحثيث للقضاء على الإرهاب واستئصال أسبابه ومبرراته . لكن التصور المشترك لحقيقة ، وأسباب ، ودوافع ، ومبررات الإرهاب ، هي التي تجعل الجهود تتظافر للتنسيق ، والعمل الدؤوب بين الدول ، لمحاربة هذه الظاهرة الخطيرة التي ميزت عصرنا الحالي . هذا الأمر ينبغي أن لا يختلف عليه الناس .

ولكن تلك المكافحة لا تتسنى إلا بعد الوصول إلى تصور مشترك لماهية الأعمال التي يجب منعها لعدم شرعية مبرراتها . وحتى طاعة القانون الدولي ، والإقرار بسيادته ، يكمن في شموله ونزاهته ، وكونه لا يفرق بين قوي وضعيف ، غني وفقير ، حاكم ومحكوم ، سواء في مضمونة أو في حالات تطبيقه .

وسيظل هذا القانون حبرا على ورق ، فاقدا لهيبته ، وإلزامية طاعته ، عندما يكون منحازا إن مضمونا أو تطبيقا؛ لا يراعي مبدأ المساواة بين الجميع وفي كل الأحوال .

وفي غياب أداة دولية لتنفيذ قرارات مجلس الأمن مستقلة عن إرادة الدول

الأعضاء . تلعب الدول القوية دورا مؤثرا سواء لجهة مضمون قرارات مجلس الأمن أو لطريقة تطبيقها .

وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي ، ظهرت الهيمنة الأمريكية كقوة عظمى وحيدة ، وبذلك تلعب دورا أساسيا في رسم وتطبيق القواعد التي ترعى علاقات الدول في ما بينها ، والتي من المفترض أن تعبر عن إرادة الدول ومصالحها ، وهو ما ليس كذلك . إن أمريكا تقاتل في ميدان لا خصم فيه ، أو بالأحرى لا ندّ فيه .

إن المؤسف حقا ، أن هذا الدور الذي تضطلع به أمريكا اليوم في مسار السياسة الدولية ، يغلب عليه تقديم المصلحة والرؤية الشخصية للولايات المتحدة على مصالح الدول الأخرى أو مصلحة المجتمع الدولي ككل . لكن في صدد التصدي للإرهاب الدولي والقضاء عليه كوسيلة لحل النزاعات السياسية فإن للدول جميعا مصلحة في النجاح بهذه المهمة .

لهذا الغرض ، من المهم جدا في تفسير وتطبيق قرار مجلس الأمن رقم ١٣٧٣ ، وسواه من الإجراءات الملزمة في الإطار الدولي ، أن تلجأ الدول الكبرى وفي طليعتها الولايات المتحدة إلى الالتزام التام بالمساواة بالنسبة لكل من يرتكب أعمالا إرهابية ، سواء أكان دولة ، أم تنظيما ، أم حركة . وبأن تعتمد سلوكا ينم عن فهم عميق للدوافع وراء الإرهاب وشروط النجاح في القضاء عليه . أما فيما يتعلق بردها على العمل الإرهابي الذي ارتكب على أرضها ، عمدت أمريكا إلى كل ما تملك لإظهار قوتها المادية والعسكرية ، على حساب طاقاتها العقلية . إنه لمن المذهل حقا ، أن بلدا في منزلة أمريكا ؛ بطاقاته الفكرية ، وإمكاناته العلمية ، تغيب فيها النظرة الديكارتية والتحليل العلمي والبحث العميق عن أسباب الحدث ، والدوافع إليه ، وعن أسباب الغضب المتنامي في العالم بأسره ، والعالم الثالث

والعالم العربي بالخصوص ، ذلك كله لصالح الحل الأمني والحرب الوقائية .

هناك جريمة متمادية في فلسطين منذ ما يزيد على نصف قرن ، وحالة من الأسى تلف حياة الشعب العراقي منذ أكثر من عقد من الزمن لأمريكا اليد الطولى فيها ، جعلت من تتهمهم بارتكاب الإرهاب على أرضها ، يختارونها مبررا لإضفاء الشرعية على ما فعلوا ويفعلون . يجب أن تعلم أمريكا ، أن القبض على ابن لادن وتفكيك القاعدة ، وقتل صدام حسين ، مع كل أفراد عائلته وعشيرته ، بعد الإجهاز على ابنيه ، حتى لو تم ذلك بأفضل ما تتمناه من وسائل ، وحتى لو تمكنت ، بتضافر دولي ، من تجفيف المصادر المالية لكل حركة «إرهابية» حسب رأيها ـ وهذا ليس بالأمر السهل ـ فإن ذلك لا يضمن القضاء على ما تسميه أمريكا «الإرهاب» ولن يخلق ثقافة اجتماعية وقانونية في العالم العربي والإسلامي والعالم الثالث تدين وتقمع «الإرهاب» حسب نظرة أمريكا ، كائنا ما يكون الهدف والفاعل . لن يتحقق شيء من ذلك ما لم يتم القضاء على الظلم ، ومبررات الغضب واليأس . فالظلم يولد ، كما بينا ، الحقد . واليأس يسهل الموت ولو انتحارا ، كما شرحنا .

إن كل الجوعى في العالم يعتبرون أمريكا والغرب سببا مباشرا في جوعهم . وكل المرضى في العالم يعتبرون أمريكا وأوربا سببا مباشرا في ذلك . وكل المظلومين ، والمقهورين ، والمسجونين ، يعتبرون أمريكا وأوربا سببا مباشرا في الظلم والقهر والسجن . وكل شعب مغتصب في العالم؛ تسلب أرضه ، ويهدم بيته ، وتقتلع أشجاره ، ويطرد من الأرض التي ولد فيها وورثها عن أجداده ، بحجة أن الله أعطاها لأناس آخرين لم يولدوا فيها ولم يعيشوا فيها منذ آلاف السنين . هؤلاء يعتبرون أمريكا مسؤولة مباشرة عن كل ذلك .

إن نجاح أمريكا في رفع الظلم عن الشعوب التي ترزح تحت الاحتلال ، مثل الشعب الفلسطيني ، والشعب الكشميري ، والشعب العراقي ، والشعب الشيشاني ، والشعب الكردي ، كما نجحت في مساعدة الشعب البوسني والشعب الكوسوفي في التحرر من الاحتلال الصربي ، هو وحده الكفيل بتجفيف منابع الحقد وتعرية الإرهاب من كل شرعية ، وبالتالي تسهيل القضاء عليه[١] .

التعريف العام للإرهاب[٢] :

الإرهاب هو الاستعمال المنهجي للعنف أو التهديد به بقصد إزهاق الأرواح وترويع الناس ، مثل الاغتيال ، وأخذ الرهائن ، وتدمير الممتلكات ، وتلويث البيئة ، من طرف منظمة ، أو جماعة ، أو فرد ، أو دولة . وأقصى درجات الإرهاب هو الاحتلال ، وأدنى درجاته هو الترويع باستعمال السلاح .

وتتعين عقوبة الإرهاب على قدر الضرر الذي يسببه .

أقسام الإرهاب :

١ـ إرهاب الدولة :

ويتمثل في اللجوء المنهجي لاستعمال العنف ضد الناس ، بفرض الحالات الاستثنائية لإرهاب الشعب : كالطوارئ ، وحظر التجوال ، والحبس الجماعي ، ومهاجمة المناطق السكنية بغرض الانتقام لممثلي النظام الحاكم ، ومحاكمات المدنيين

---

(١) ملخص بتصرف مما كتبه الأستاذ الدكتور خير الله داود المحام والمحاضر في جامعة جورج طاون في الولايات المتحدة الأمريكية، وما كتبه الأستاذ ناعوم تشومسكي ، في موقعه على النيت.

(٢) نحيط الإخوة القراء علما أن هذا التعريف عرض على مجموعة من القانونيين الفرنسيين من مختلف الأديان والاتجاهات الثقافيه بـ (juriscite) واستحسنوه بعد بعض التوجيهات والتنقيحات التي أضافوها وسجلناها بكل أمانة .

في القضاء العسكري [١]، والمحاكم الخاصة، منع التظاهر الجماعي الشرعي، إلغاء الانتخابات الشرعية والقانونية النزيهة مهما كانت نتائجها، منع العمل الجمعوي الخيري، اقتحام بيوت المواطنين بغير ترخيص قضائي، الحبس العشوائي غير القانوني للمعارضين، عدم تمكين الموقوفين من الدفاع القضائي العادل، طرد المواطنين من أعمالهم دون حكم قضائي عادل، منع هجرة شريحة معينة من المواطنين دون سبب قانوني واضح، سن قوانين التجسس على المواطنين، منع الصحافة الحرة عن طريق القتل أو مصادرة الوسائل، محاصرة التجمعات السكنية للمواطنين وقطع الإمدادات عنهم تحت أيّة حجة. احتلال شعب ما، ومساندة الاحتلال، ومده بالسلاح والمال والرجال، واستعمال الفيتو لإحباط القرارات الدولية ضد الاحتلال. تجويع وترويع الشعوب من أجل مصالح نفعية. إسقاط سلطة منتخبة ومعترف بها سياسيا ومنعها من العمل الدبلوماسي وإهانتها، معارضة مقاضاة مجرمي الحرب.

٢ ـ الإرهاب الفكري:

الذي تسنده بعض المنظمات أو «اللوبيات» التي تجعل كل نقد، أو لوم أو توبيخ إرهابا تحت أية حجة كانت، ومنه أيضا سن قوانين لمعاقبة من يقوم بذلك النقد.

٣ ـ ويستثنى من التعريف:

---

(١) تعتبر الجمهورية الفرنسية مقاضاة المدنيين في محاكم عسكرية من الحالات الاستثنائية التي لا تليق بالدولة الحرة صاحبة مبادئ حقوق الإنسان، وعليه تم إلغاء المحاكم العسكرية في فرنسا في الثمانينيات.

حق الشعوب المحتلة في المقاومة حسب إمكاناتها المتوافرة ، ولا يجوز تحديد نوع المقاومة بالتوازي مع عدم إمكانية تحديد نوع الاحتلال .

حق التظاهر السلمي مهما بلغت درجة العنف الناتج عنه ؛ لأنه ليس ممنهجا ولا هو صادر عن سابق تصميم وتخطيط . وكل عنف عفوي يعاقب عليه دون أن يصدق عليه مسمى الإرهاب .

*****

obeikandl.com

خاتمة

تقاس أهمية الأعمال الفكرية بجدية القضايا التي تطرحها ، وبالمنهج البحثي الذي تلتزم به ، وبالغايات النبيلة التي ترمي إليها ، وبالأهداف التي تتوخاها . وفي كتابنا هذا ، حاولنا الالتزام بذلك كله .

ونزعم أن من أهم القضايا التي يجب الكتابة فيها والتصدي لها ، هي قضية الإرهاب وتداعياته على الأمة المسلمة . قضية تأتي في فترة تأزّم فكري كوني لا مثيل له ، فانقلبت الموازين حتى أصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا . وهو أمر أصاب فكر الأمّة المسلمة بالدخن ، باعتبار أنها جزء من هذا العالم الذي تعيش فيه .

ونزعم أيضا ، أننا بهذه الدراسة المقارنة ، نكون قد ساهمنا بعقلنا المسلم ، في عرض وتحليل ونقد إشكالية فكرية من أعقد الإشكاليات طرا . ذلك أنها نابعة من ظاهرة كونية شاملة ، عجزت دول العالم مجتمعة عن مواجهتها بغير أسلحة الدمار الشامل .

ومساهمتنا ـ وإن بدت صغيرة ـ فهي مساهمة العقل المسلم الذي أصابه كثير من العناء ، والذي لحق بمنهجيته الكثير من الاضطراب . وبخاصة في ظل الانحسار الحضاري لهذا العقل الذي كان في فترة غير بعيدة يعد من الطراز الأول ، وفي ظلّ تفاقم التدهور المريع لجميع مؤسسات الأمّة ، ثم عجزها عن الأداء نهائيا .

وبهذا نكون قد فتحنا الباب لهذا العقل أن يعمل في إطار الحوار مع الغير ، من

غير تعال ولا هوان . رغبة منا في أن نخرج من السطحية ومن الوقوف عند الظواهر للغوص في أعماق الأشياء التماسا للأسباب والدوافع . والجزء الأول من هذا الكتاب خير دليل .

ولقد حاولنا في هذه الدراسة أن نتبع طريقة العمل المنضبط ، والنظر الثاقب المتفحص ، لظاهرة دوخت الدنيا ، سواء في القديم أم الحديث . وتحليل الظاهرة في فكر أمتنا السالف منذ وجودها الأول ، وإنزال ذلك على واقعنا ، على أساس أن الماضي والحاضر متداخلين في وحدة عضوية يصعب الفكاك بينهما . وتأثير ماضينا الحيوي على حاضرنا الجامد ، وفي ذلك الخير كله .

وما الزمان والمكان إلا مسرحا للأحداث ، تُسجَّل فيه ظواهر القوة والضعف ، وأسباب كل منهما ، وما يطرأ من تفاعل بين تلك العناصر جميعا ، ليكشف المضاعفات المتنامية لأمراض أصابت فكرنا في جميع مجالات الحياة ، وزادتها الغفلة استفحالا وانتشارا .

ولسوف يلاحظ القارئ الكريم ، من خلال النتائج الواضحة التي توصّلنا إليها ، أن العقل المسلم له المقدرة على العمل من جديد ، وتفحص الأفكار ، ودراسة الأرآء ، وسبر أغوار المنظومة الفكرية الإنسانية ، ولكن بشرط أن يتوافر لهذا العقل أجواء الحرية ، وأن لا يتيه عن جوهره الأصلي ، ونظرته المميزة للكون والإنسان والحياة . حينئذ فقط سوف يأتي بجديد .

ينظر هذا العقل المسلم بفراسته الثقافية الإسلامية الشاملة ، وبمعرفته ذات المنهج الرباني والخصوصية المقاصدية في التربية والسلوك . فالفكر العميق ، والنظر الدقيق ، هو عمل ينبني على اجتهاد إنساني مرتكز على هدي الوحي ، دون

إهمال للواقع المعاصر ، حتى لا يبقى يراوح المكان والزمان ، ومن ثم الدوران في حلقة مفرغة ، من تقليد للتليد ، وانبهار بكل وافد جديد ، وكلاهما يسفر عن فشل ذريع .

لقد كان في أذهاننا ـ ونحن نتصدى لأخطر الموضوعات على الإطلاق ـ أن نبيِّن للمسلم المعاصر ميكانيزمات زحف العولمة ، وما يحكمها من نفاق سياسي وتناقض عملي لا بديل له ، علّ العقل المسلم يفيق من غفلته ، وينهض من كبوته ، فإن لم يسترد ريادته في قيادة البشرية ، يساهم على الأقل في تنوير وتصحيح المنهج الفكري العقلي الإنساني ، ليتم بذلك تصحيح مسار حضارة بشرية ، ظن أهلها أنهم قادرون على الدنيا ، وقاهرون لقوى الطبيعة ، و﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر:١٩] .

ولكن ، قبل هذا وذاك ، يجب إعادة إصلاح مناهج الفكر الإسلامي ، الذي يمثل مسار الحضارة الإسلامية نفسها ، لتكون شاهدة على الناس ، بإتقانها الدنيا وحفاظها على الدين . إن هذا الكتاب يبدو في منتهى الأهمية من حيث إنه يكشف ، بما لا يدع مجالا للشك ، الأزمة الفكرية التي تتخبط فيها البشرية وتشوّه الرؤية لديها ، وما يؤدي إليه من مخاطر التسابق إلى أسلحة الدمار الشامل ، وما ينجرُّ عن ذلك من تهديد للوجود الإنساني بالفناء والدمار .

و الحمد لله رب العالمين .

*****

obeikandl.com

obeikandl.com

المراجع التي لم يشر إلى مصدرها هي على قرص مدمج
المراجع

١ـ القرآن الكريم وترجمة معانيه بالفرنسية والإنجليزية (صخر للكمبيوتر) .

٢ـ موسوعة الحديث الشريف على قرص مدمج .

٣ـ موسوعة الفقه الإسلامي على قرص مدمج .

٤ـ موسوعة الأدب العربي على قرص مدمج .

٥ـ موسوعة الإسلام الفرنسية على قرص مدمج .

٦ـ موسوعة التفاسير على قرص مدمج .

٧ـ موسوعة يونيفارساليس الفرنسية على قرص مدمج .

8_ Débat du 2 mai 1990, à l'Assemblée nationale . Journal officiel du 3 mai 1990 la "loi Gayssot" l'objectif de la loi était précisé: "Il s'agit d'instituer une nouvelle incrimination visant à réprimer ce que l'on appelle le "révisionnisme J .O ., p . 912, 905, 956.

9_ Dictionnaire usuel du français, éd . Hachettes 2003

10_Edgar Weber, George Reynaud, Croisade d'hier djihad d'aujourd'hui, Paris cerf, 1989.

11_G . Halimi, Les nouveaux chiens de garde, Liber-raison d'agir, Paris, 1997.

12_*Le Choc des civilisations*, Odile Jacob, Paris, 1997

13_Saddek Rabah, l'islam dans le discour médiatique .

14_www .aipj .net, www .antisemitisme .info, www .objectif-infi .com, www .revue-politique .com www .proche-orient .info, www .reinfo-israel .com

15_www .arabesques .org

16_www .commission-droitshomme .fr, voir rapport CNCDH 2001.

17_www .elysee .fr

18_www .iris-france .org

19_www .palestine-net .net

obeikandl.com

20_www .raxen .org . observatoir européen UE

21_www .scis .org

22_www .washingtoninstitute .org.

23_Xavier Ternisien, Le danger de l'islamophobie, le Monde, 12 mai 2002.

٢٤- إرهاب الدولة ص . 171-176 . Le Terrorisme de l'Etat, p .

٢٥- الإرهاب الدولي ، د .محمد عزيز شكري ، دار العلم للملايين ، بيروت ، طبعة أولى ، 1999 .

٢٦- الاستبداد الإسلامي هجوم على الديمقراطية ، Le Totalitarisme islamiste à l'assaut des démocraties . Paris, éd . syrtes 2002 .

٢٧- الأمم المتحدة كتاب الاتفاقات الدولية المجلد ٧٠٤ رقم ١٠١٠٦ . المجلد ٨٦٠ رقم ١٢٣٢٥ . المجلد ٩٧٤ رقم ١٤١١٨ . المجلد ١٠٣٥ رقم ١٥٤١٠ . قرار ٣٤/ ١٤٦ ملحق . المجلد ١٤٥٦ رقم ٢٤٦٣١ . المنظمة العالمية للطيران المدني وثيقة ٩٥١٨ . المنظمة العالمية للنقل البحري وثيقة/ ١ .SUA/CONF/15/Rev. نفس الوثيقة رقم ١٦/ ٢ . الوثائق الرسمية لمجلس الأمن في سنته الـ ٤٦ ، ملحق شهر جانفي ، فيفريي و مارس ١٩٩١ . انظر أيضا المجلد ١ المتعلق بالقرارات المتخذة في ٢٠/ ٠٩ و ٢٣/ ١٢/ ١٩٩٤ من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة وتوابع القرار ٤٩/ ٦٠ المعنونة بـ إجراءات تتعلق بمنع الإرهاب الدولي بتاريخ ٠٩/ ١٢/ ١٩٩٤ .

٢٨- انظر أرشيف صحيفة .heraldtribune .org على شبكة www المعلوماتية .

١- انظر الدكتور وهبة الزحيلي ، العلاقات الدولية في الإسلام ، مبحث أصل العلاقات الخارجية في الإسلام السلم لا الحرب صفحة ٩٣ . آثار الحرب في الإسلام صفحة ١٣٠ ، عقد الذمة صفحة ١٥٧ . طبع مؤسسة الرسالة ١٩٩٧ .

٢ـ انظر تاريخ فرنسا الكبير ، قرص مدمج .
٢٩ـ انظر على شبكة المعلوماتية ، تصادم الحضارات نظريات صامويل هنتنجتون Choc des civilisations
٣٠ـ انظر كتاب الإرهاب: عنف وسياسة ، جزافيي كروتيي Le terrorisme ; violence et politique Xavier Crettiez
٣ـ انظر ما كتبه الأستاذ الدكتور خير الله داود المحام والمحاضر في جامعة جورج طاون في الولايات المتحدة الأمريكية ، وما كتبه الأستاذ ناعوم تشومسكي ، في موقعه على النيت www . Zmag .org .
٣١ـ انظر مفهوم الإرهاب . . بين الأصل والتطبيق يحيى عبد المبدي معهد الدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة ، بحث منشور على موقع إسلام أون لاين www .islam-online .net
٣٢ـ انظر موقع المرصد العالمي لمكافحة الإرهاب على الشبكة العنكبوتية : www .ict .org www .crti .org
٣٣ـ بندقية للإيجار ، باتريك سيل .
٤ـ تاريخ ابن خلدون ١/ ٢٢٦ ، الحروب ومذاهب الأمم .
٣٤ـ جريدة الحياة عدد ٢٠٠٨ شعبان ١٤١٦ .
٥ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، الهيئة المصرية للكتاب .
٦ـ راجع ضمن بحوث المجلس الأوربي للإفتاء و البحوث المطبوعة في العدد الثاني من مجلته الرائدة ، أو موقعه على الشبكة www .e-cfr .org .
٣٥ـ سيكولوجية الإرهاب السياسي ، د .خليل فاضل ، إصدارات خليل فاضل 1991 .
٣٦ـ الطبعة الأولى من كتاب الإرهاب السياسي Political Terrorism « شميد Schmid » .
٣٧ـ العنف والإرهاب ، سالم إبراهيم .
٧ـ غوستاف لوبون حضارة العرب ، الهيئة المصرية للكتاب .

obeikandl.com

٣٨ـ قانون العقوبات الجديد، عنوان ٢ من الإرهاب، الباب ١ من أعمال الإرهاب، المادة ٤٢١ـ١ و ٤٢١ ـ ٢ . راجع Bigo Didier . Polices en raiseaux, Paris Presses de Sciences Po, 1996, pp . 266-268 .

٣٩ـ قضايا دولية، العدد ٢٧٠، ٢٧١، السنة6، ص ٥ .

٤٠ـ محطة المرصد العالمي لمكافحة الإرهاب .

٤١ـ محطة المرصد الفرنسي لمقارعة الإرهاب .

٨ـ مداخلة في الندوة الألمانية الفرنسية أكتوبر٢٠٠١، رأيناها مباشرة على الشاشة .

٤٢ـ المشاهد السياسي، العدد الثالث، ص١٠، ١١، الصادر في ٣١/ ٠٣/ ١٩٩٦ .

٤٣ـ المنظمة العربية للعلوم .www .isesco-org

٤٤ـ منهج الإرهاب، السنوسي بلاله، دراسة في نشأة وتطبيقات بعض جوانب الإرهاب السياسي عند لينين-ماو-القذافي، دار الإنقاذ للنشر والإعلام .

٤٥ـ مواقع الجرائد والمجلات العربية والأجنبية .

٤٦ـ موقع الأمم المتحدة لحقوق الإنسان .

٤٧ـ موقع الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب www .ridi .org

٤٨ـ موقع الجامعة العربيةwww .arabeleagueonline .org .

٤٩ـ موقع اللجنة العربية لحقوق الإنسان .www .a .c .h .w .org

٥٠ـ موقع منظمة المؤتمر الإسلامي .

٩ـ هل يجوز انتقاد السياسة الإسرائيلية؛ Est-il permis de critiquer la politique israélienne Bonéface .

٥١ـ هيثم مناع : المشرف على موسوعة الإمعان في حقوق الإنسان، اللجنة العربية لحقوق الإنسان . A . C . H . W .